﷽

**مجالس دراسة كتـــاب: معانــي القــرآن للإمام الفراء**

**تعليق الشيخ الدكتـــور: عبد الســـلام مقبل المجيـــدي**

**المجلس الثاني والعشرون/ سورة التوبة: 52-129)**

**الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. أما بعد، فاللهم اغفر لنا ولمشايخنا والحاضرين والمستمعين ولجميع المسلمين. وبأسانيد مشايخنا -حفظهم الله تعالى- إلى عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ -أو قال: يَرْحَمُكُمْ- مَنْ فِي السَّمَاءِ».**

**وبأسانيد مشايخنا -حفظهم الله تعالى- إلى كتاب: معاني القرآن للعلامة الفراء -رحمه الله تعالى؛ وقوله: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ الحسنيان: الظفر أو الشهادة. والعرب تدغم اللام من (هل) و (بل) عند التاء خاصة.**

**وقوله: ﴿أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾ وهو أمر فِي اللفظ وليس بأمر فِي المعنى لأنه أخبرهم أَنَّهُ لن يتقبّل منهم.**

**وهو فِي الكلام بِمنزلة إنْ فِي الجزاء كأنك قلت: إنْ أنْفَقْتَ طوعًا أو كرهًا فليس بمقبولٍ منك.**

**وقوله: ﴿وَما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾، ﴿أَنَّهُمْ﴾ فِي موضع رفع لأنه اسم للمنع كأنك قلت: ما منعهم أن تقبل منهم إلا ذاك. و ﴿أَنْ﴾ الأولى فِي موضع نصب.**

**وقوله: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ معناهُ: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فِي الحياة الدُّنْيَا. هَذَا معناه، ولكنه أخّر ومعناه التقديم- والله أعلم- لأنه إِنّما أراد: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فِي الحياة الدُّنْيَا إنّما يريد الله ليعذبهم بِهَا فِي الآخرة. وقوله: ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كافِرُونَ﴾ أي: تَخرج أنفسهم وهم كفار. ولو جعلت الحياة الدُّنْيَا مؤخّرة وأردت: إنّما يريد الله ليعذبهم بالإنفاق كرهًا ليعذبهم بذلك فِي الدُّنْيَا، لكان وجها حسنا.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هو يرى الحياة الدنيا هنا مؤخرة وحقها التقديم، والتقدير(فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا) -أيْ في الآخرة-"، والصحيح أنها على ظاهرها، وأن كثيراً من هؤلاء يُعذّبون في الحياة الدنيا بأولادهم، وقد قلنا بأن المصائب التي تحل بالإنسان نوعان: إما أن تكون مصيبةً حلّت على مؤمنٍ فهي ابتلاء وإما أن تكون مصيبة حلّت على عدوٍ لله فهي عقوبة، ولا حرج في تنويع التفسير فيما يتعلق بالأمر الواحد؛ لأن بعض الناس يعترض ويقول: أنتم تفسّرون كيفما تحبون، نقول: لا مانع من تنويع التفسير ما المشكلة في هذا؟ وقد قال الشاعر الحكيم:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **قد يُنعم الله بالبلوى وإن عظُمت** |  | **ويبتلي الله بعض القوم بالنِعم** |

**وقوله: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ أي: حرزا ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾ وهي: الغِيران واحدها غار فِي الجبال ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ أي: سَرَبا فِي الأرض ﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ مسرعين الجمح هاهنا: الإسراع.**

**وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ﴾ أي: يعيبك، ويقولون: لا يقسم بالسَّوِيَّة ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا﴾ فلم يعيبوا.**

**ثُمَّ إِنّ الله تبارك وتعالى بيّن لَهُم لمن الصدقات.**

**فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ﴾: أهل صُفَّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كانوا لا عشائر لَهم، كانوا يلتمسونَ الفضل بالنهار، ثُمَّ يأوون إلى مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهؤلاء الفقراء.**

**﴿وَالْمَساكِينِ﴾: الطوّافين على الأبواب ﴿وَالْعامِلِينَ عَلَيْها﴾ هم: السعاة ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم: أشراف العرب، كَانَ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم يعطيهم ليجترّ به إسلام قومهم ﴿وَفِي الرِّقابِ﴾ يعنى: المكاتبين.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: انظر هنا مدى تشوّف الشريعة إلى تحرير العبيد! فقد جعلت من ضمن مصارف الزكاة "في الرقاب"، ومعنى ذلك أن الدولة ملزمة بأن تُنفق على كل من أراد التحرر، إذا أبدى هو استعداداً لطلب مثل هذا، وهذا يدلُّ على مدى سعة الشريعة الإسلامية وصفاء تعاملها، مقارنة بدعاة حقوق الإنسان هذه الأيام.**

**﴿وَالْغارِمِينَ﴾: أصحاب الدَّيْن الَّذِين ركبهم فِي غير إفساد.**

**﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الجهاد ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: المنقطع بِهِ، أو الضيف ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ نصب على القطع. والرفع في (فريضة) جائز لو قرئ بِهِ.**

**وقوله: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ اجتمعَ قوم عَلَى عَيب النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول رجل منهم: إن هَذَا يبلّغ محمدا- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيقع بنا، ف يَقُولُونَ: إنما هُوَ أُذُنٌ سامعة إِذَا أتيناهُ صدّقَنا، فقولوا ما شئتم. فأنزلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾ أي: كما تقولون، ولكنه لا يصدقكم، إنما يصدّق المؤمنين، وهو قوله: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: يصدق بالله ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: يصدّق الْمُؤْمِنِين.**

**وهو كقوله: ﴿لِلّذينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ أي يرهبون ربهم.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هو فسّر الآن كلمة ﴿(يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: يصدق بالله، ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: يصدّق المؤمنين؛ هو فسّر الإيمان بالتصديق، وهذا تفسيرٌ للكل بالجزء، والصحيح أنه كان ينبغي أن يفسّر الإيمان بتعريفه للإيمان، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾ يعيب عليهم؛ يقول لهم: ما المانع أن يسمع لكم ولغيركم؟ فتظنون أنتم أنكم خدعتموه ولا تستطيعون خداعه؛ فإنه إنما ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.**

**إذاً هو يسمع لكم لكن ذلك لا يعني أنكم تستطيعون مخادعته.**

**وأمّا قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ فمتصل بِما قبله.**

**وقوله: ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ إن شئت خفضتها تتبعها لخير، وإن شئت رفعتها أتبعتها الأذن.**

**وقوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ وحّد ﴿يُرْضُوهُ﴾ ولم يقل: يرضوهما لأن المعنى- والله أعلم- بمنزلة قولك: ما شاء الله وشئتُ إنما يقصد بالمشيئة قصدُ الثاني، وقوله: «مَا شاءَ اللَّهُ» تعظيم لله مقدم قبل الأفاعيل كما تَقُولُ لعبدك: قد أعتقك الله وأعتقتُك. وإن شئت أردت: يرضوهما فاكتفيت بواحد.**

**وقوله: ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طائِفَةً﴾ والطائفة واحد واثنان، وإِنَّما نزل فِي ثلاثة نفر،**

**استهزأ رجلان برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والقرآن، وضحك إليهما آخر، فنزل ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ﴾ يعنى: الواحد الضاحك ﴿نُعَذِّبْ طائِفَة﴾ يعني: المستهزئين. وقد جاء ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ﴾ يعني: واحدًا.**

**وقوله: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾: يُمسكون عَن النفقة عَلَى النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ ليس المراد النفقة على النبي ﷺ في شخصه، وإنما المقصود على المسلمين.**

**وقوله: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: فعلتم كأفعال الَّذِينَ من قبلكم.**

**وقوله: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ﴾ أي: رضوا بنصيبهم فِي الدُّنْيَا من أنصبائِهم في الآخرة ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ﴾ أي: أردتم ما أراد الَّذِينَ من قبلكم.**

**﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ أي: كخوضهم الَّذِي خاضوا.**

**وقوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ يقال: إنها قريات قوم لوط وهود وصالِح. ويُقال: إنهم أصحاب لوط خاصَّة.**

**جُمعوا بالتاء عَلَى قوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوى﴾.**

**وقوله: ﴿وَرِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، ﴿أَكْبَرُ﴾ بالرفع وَعُدِلَ عَن أن يُنْسَق عَلَى ما قبله وهو مما قد وعدهم الله تبارك وتعالى،**

**ولكنه أوثر بالرفع لتفضيله كما تَقُولُ فِي الكلام: قد وصلتك بالدراهم والثياب، وَحُسْنُ رأيي خير لك من ذَلِكَ.**

**وقوله: ﴿وَما نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْناهُمُ اللَّهُ﴾ هَذَا تعيير لَهُمْ لأن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ عَلَى أهل المدينة وهم محتاجونَ، فأَثْرَوا من الغنائم، فقال: ﴿وَما نَقَمُوا إِلَّا﴾ وَمَا نَقَمُوا إِلا الغِنى ف (أَنْ) فِي موضع نصب.**

**وقوله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ يراد بِهِ: المتطوعين فأدغم التاء عند الطَّاء فصارت طاء مشددة، ولمزهم إياهم: تنقُّصُهم وَذَلِكَ أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حثّ الناس عَلَى الصدقة، فجاء عمر بصدقة وعثمان بن عفان بصدقة عظيمة، وبعض أصحاب النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ جاء رجل يُقال لَهُ أَبُو عُقَيل بصاع من تَمر، فقال المنافقون: ما أخرج هَؤُلاءِ صدقاتِهم إلا رِياء، وأمّا أَبُو عقيل فإنما جاء بصاعه ليُذْكر بنفسه، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقاتِ﴾ يعني: المهاجرين ﴿وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ يعني: أبا عقيل. والجُهْد: لغة أهل الحجاز والوُجْد، ولغة غيرهم: الجَهْد والوَجْد.**

**وقوله: ﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخالِفِينَ﴾ من الرجال، خلوف وخالفون، والنساء خوالف: اللاتي يخلُفن فِي البيت فلا يبرحن. ويُقال: عبد خالف، وصاحب خالف: إِذَا كَانَ مخالفًا.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: ﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ أيْ المتخلفين من الرجال، ولما قال: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ أيْ مع النساء، فهو تعييرٌ شديدٌ لهم.**

**وقوله: ﴿وَجاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ وهم الَّذِينَ لَهُم عُذْر. والمعنى المعتذرونَ، ولكن التاء أدغمت عند الذَّال فصارتا جميعًا (ذالا) مشددة، وفتحت الْعَين لأن إعراب التاء صار فِي الْعَين كانت- والله أعلم-المعتذرون.**

**وأمّا المعذِّر عَلَى جهة المْفَعِّل فهو: الَّذِي يعتذر بغير عذر.**

**قَالَ ابن عباس: لَعَنَ اللَّهُ الْمُعَذِّرِينَ ذَهَبَ إِلَى مَنْ يَعْتَذِرُ بِغَيْرِ عُذْرٍ، وَالْمُعْذِرُ: الَّذِي قَدْ بَلَغَ أَقْصَى الْعُذْرِ. وَالْمُعْتَذِرُ قَدْ يَكُونُ فِي مَعْنَى الْمُعْذِرِ، وَقَدْ يَكُونُ لا عُذْرَ لَهُ.**

**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الَّذِي لا عُذْرَ لَهُ: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ ثم قال: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ لا عُذْرَ لَكُمْ.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هو في هذا يريد أن يبيّن أن مذهب ابن عباس أن قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ أيْ من لا عذر له، فإذا شدّد فهو يتكلم عمّن لا عذر له، أما إذا خفّف "المُعْذرون" فإنه من كان له عذر؛ لذلك قال: (والمُعْذِر: الذي قد بلغ أقصى العذر) ففرّق بين المعذِّر وبين المُعْذِر.**

**وقال لَبِيد فِي معنى الاعتذار بالإعذار إِذَا جعلهما واحدًا:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وقوما فقولا بالذي قد علمتما إلى الحول ثُمَّ اسمُ السَّلام عليكما** |  | **ولا تخمشا وجهًا ولا تحلقا الشعر ومَنْ يبكِ حولا كاملا فقد اعتذر** |

**يريد: فقد أعذر.**

**وقوله: ﴿حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا﴾، ﴿يَجِدُوا﴾ فِي موضع نصب بأن، ولو كانت رفعا على أن يجعل (لا) فِي مذهب (لَيْسَ) كأنك قلت: حزنًا أن لَيْسَ يَجدونَ ما يُنفقونَ.**

**وقوله: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ كل موضع صلحت (لَيْسَ) فِيهِ فِي موضع (لا) فلك أن ترفع أو تنصب الفعل الَّذِي بعد (لا).**

**وقوله: ﴿الْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفاقاً﴾ نزلت فِي طائفة من أعراب أَسَد وغَطَفان وحاضرى المدينة. و ﴿وَأَجْدَرُ﴾ كقولك: أحرى، وأخلق.**

**﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا﴾ (أن) في موضع نصب.**

**وقوله: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوائِرَ﴾ يعني: الموت والقتل، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ﴾ وفتح السِّين من ﴿السَّوْءِ﴾ هُوَ وجه الكلام، وقراءة أكثر القراء. وقد قرأ بعضهم برفع السِّين**

**ومن رفع السِّين جعله اسمًا كقولك: عليهم دائرة البلاء والعذاب.**

**ولا يَجوز ضم السِّين فِي قوله: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ ولا في قوله: ﴿وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ لأنه ضد لقولك: هَذَا رجلُ صِدْق، وثوبُ صدق. فليس للسوء هاهنا معنى فِي عذاب ولا بلاء، فيضمّ.**

**وقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ﴾ إن شئت خفضت (الأنصار) تريد: من المهاجرين ومن الأنصار، وإن شئت رفعت (الأنصار) تُتبعهم قوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هو يقول: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ﴾ إذا قرأت بالخفض "وَالأنْصَارِ" فهي تابعة للمهاجرين ، وإذا قرأت بالرفع "وَالأنصارُ" فهي معطوفة على "وَالسَّابقون" فتكون السابقون فقط هم المهاجرون، إذاً على قراءة الرفع -وهي قراءة الأقل- تكون معطوفة على (السابقون)، وكأن المهاجرين هم السابقون دون غيرهم، وعلى قراءة الخفض يكون كلٌ من المهاجرين والأنصار يُعدُّون من السابقين، ولا شك أن كلاً من المهاجرين والأنصار يُعدُّون من السابقين، والمقصود بهم هاهنا الذين أسلموا قبل الفتح ثم يعُمّ ذلك من أسلم بعد الفتح لأن الله تعالى قال: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾[الحديد:10].**

**﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ﴾: من أحسن من بعدهم إلى يوم القيامة.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: يقول –رحمه الله- بأن عندنا فئتين: الفئة الأولى: فئة السابقين وتكوّنت فئة السابقين من المهاجرين والأنصار.**

**والفئة الثانية: الذين اتبعوهم بإحسان، وعرّف الذين اتّبعوهم بإحسان بقوله: (من أحسن من بعدهم إلى يوم القيامة) وليس كل من جاء بعدهم، وعلى هذا فالتزكية للمهاجرين والأنصار مطلقة ما داموا ماتوا على الإسلام، فهي مطلقة دون التقييد بأنهم أحسنوا، فبمجرد أنهم مهاجرون وبمجرد أنهم أنصار كفى ذلك في أن يدخلوا في السابقين وأن يُثنى عليهم جميعاً رضي الله تعالى عنهم، فهذه الآية من أعظم الآيات التي تبيّن ظلم الذين يتكلمون عن المهاجرين والأنصار بسوء، وأنهم عندما يتكلمون عن المهاجرين والأنصار بسوء إنما يقصدون بذلك الطعن في الإسلام؛ لأن المهاجرين والأنصار هم الذين بلّغوا الإسلام، فإذا طُعِن فيهم فما الذي بقي من الإسلام إذاً حتى يوثق فيه؟!**

**وقوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ﴾ أي: مرنوا عليه وجرؤوا عليه كقولك: تمردوا.**

**وقوله: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ يُقال: بالقتل وعذاب القبر.**

**وقوله: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً﴾ أي: خرجوا إلى بدر فشهدوها.**

**ويُقال: العمل الصالِح توبتهم من تخلفهم عَن غزوة تَبُوكَ.**

**﴿وَآخَرَ سَيِّئاً﴾: تخلّفهم يوم تبوك ﴿عَسَى اللَّهُ﴾: عسى من الله واجب إن شاء الله. وَكَانَ هَؤُلاءِ قد أوثقوا أنفسهم بسَوَاري المسجد، وحلفوا ألا يفارقوا ذَلِكَ حَتَّى تنزل توبتهم، فلما نزلت قالوا: يا رسول الله خذ أموالنا شكرًا لتوبتنا، فقال: لا أفعلُ حَتَّى ينزل بذلك عليّ قرآن. فأنزل الله عَزَّ وجل قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً﴾ فأخذ بعضًا، ثُمَّ قَالَ: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِها وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾: استغفر لَهُم فإن استغفارك لَهُم تسكن إِلَيْهِ قلوبهم، وتطمئنُ بأن قد تابَ الله عليهم. وقد قرئت (صلواتك) والصلاة أكثر.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: (الصلاة أكثر) يعني الذين قرأوا بالتوحيد أكثر من الذين قرأوا بالجمع، ولكن الصحيح العكس، لكن لأن قراءته –رحمه الله- قراءة الكسائي، والكسائي هنا يقرأ بالإفراد.**

**وقوله: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾: هم ثلاثة نَفَرٍ مسمَّون، تخلّفوا عَن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غزوة تبوك، فلمّا رجع قَالَ: (ما عذركم)؟ قالوا: لا عذر لنا إلا الخطيئة، فكانوا موقوفين حَتَّى نزلت توبتهم فِي قوله: ﴿لَقَدْ تابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ﴾ وقوله: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أُمَيَّة، ومرارة.**

**وقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً﴾ هم: بنو عَمْرو بن عوف من الأنصار، بنَوا مسجدهم ضرارًا لِمسجد قُبَاءَ.**

**ومسجد قباء أول مسجد بني عَلَى التقوى. فلمّا قدم النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غزوة تبوك أمر بإحراق مسجد الشقاق وهدمه.**

**ثُمَّ قال: ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً﴾ يعني: مسجد بني عَمْرو. ثُمَّ انقطعَ الكلام فقال: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ﴾ ﴿فِيهِ﴾ الأولى صلة لقوله: ﴿تَقُومَ﴾ والثانية رفعت الرجال.**

**وقوله: ﴿أَسَّسَ﴾ وأَسَّسَ، ويَجوز أساس، وآساس. ويخيَّل إليّ أني قد سمعتها فِي القراءة.**

**وقوله: ﴿لا يَزالُ بُنْيانُهُمُ﴾ يعنى: مسجد النفاق ﴿رِيبَةً﴾ يقال: شكّا ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ﴾ والمعنى: إلا أن يموتوا.**

**وقوله: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ قرأ بعضهم بتقديم المفعول بِهِ قبل الفاعل.**

**وقوله: ﴿وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا﴾ خارج من قوله: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ وهو كقولك: عَليّ ألف درهم عِدَّةٌ صحيحة، ويَجوز الرفع لو قيل.**

**وقوله: ﴿التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ﴾ استؤنفت بالرفع لتمام الآية قبلها وانقطاع الكلام، فحسن الاستئناف.**

**وقوله: ﴿وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ﴾ سأل المسلمون النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمن مات من المسلمين وهو يصلي إلى القبلة الأولى، ويستحل الخمر قبل تَحريمها، فقالوا: يا رسول الله أمات إخواننا ضُلالا؟ فأنزلَ الله تبارك وتعالى: ﴿وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ﴾ أي: ليسوا بضلال ولم يصرفوا عَن القبلة الأولى، ولم ينزل عليهم تحريم الخمر.**

**قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ قُلُوبُ﴾ ﴿يَزِيغُ﴾ قرأها بعضهم بالياء وجعل فعل (القلوب) مذكرًا، ومن قرأها بالتاء جعل فعل القلوب مؤنثًا.**

**وكل فعل كَانَ لِجماع مذكر أو مؤنث فإن شئت أنثت فعله إِذَا قدمته، وإن شئت ذكّرته.**

**وقوله: ﴿وَلا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً﴾ الموطئ: الأرض ﴿وَلا يَقْطَعُونَ وادِياً﴾ فِي ذهابِهم ومجيئهم إلا كتب لَهُم.**

**وقوله: ﴿وَما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ لِمَا عُيِّر المسلمون بتخلفهم عن غزوة تبوك جعل النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبعث السرية فينفرونَ جَميعًا، فيبقى النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحده، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ يعني: جميعًا ويتركوك وحدك.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: الصحيح أنه ليس الأمر واردا على هذه، الأمر وارد في شيئين: الشيء الأول: أن المسلمين كانوا يظنون أن أعظم العبادات هو النفر في سبيل الله، فأراد الله تعالى أن يبيِّن لهم أن هناك نوعاً آخر من النفر وهو النفر في طلب العلم، فالآية واردة في هذا؛ لأن السورة كلها مبنيةٌ على أساس تعظيم الجهاد في سبيل الله، فأراد الله تعالى أن يبيّن أن هناك نوعاً من الجهاد لا بد منه وهو طلب العلم.**

**والأمر الثاني: أن يخفف عنهم سوقهم للنفْر في سبيل الله فيبيِّن أنه لا بد أن يبقى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من يكون معه يأخذ عنه.**

**ثُمَّ قَالَ: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ﴾ معناهُ: فهلا نفر مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ ليتفقّه الباقون الذين تخلفوا ويحفظوا عَلَى قومهم ما نزل عَلَى النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القرآن، ﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ أي: ليفقِّهوهم.**

**وقد قيل فيها: إن أعراب أسد قدموا عَلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، فغلت الأسعار وملئوا الطرق بالعذرات، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ﴾ أي: فهلا نفر منهم طائفة ثُمَّ رجعوا إلى قومهم فأخبروهم بما تعلّموا.**

**وقوله: ﴿يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ يريد: الاقرب فالأقرب.**

**وقوله: ﴿وَإِذا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ﴾ يعني: المنافقين يقول بعضهم لبعض: هَلْ زادتكم هَذِه إيمانًا؟**

**فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ والمرض هاهنا: النفاق.**

**وقوله: ﴿أَوَلا يَرَوْنَ﴾ بالياء وبعضهم بالتاء.**

**والعربُ تَقُولُ: ألا ترى للقوم وللواحد كالتعجب.**

**وقوله: ﴿وَإِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكرهم وعيبهم قَالَ بعضهم لبعض هَلْ يَراكُمْ مِنْ أَحَدٍ إن قمتم، فإن خفي لَهُم القيام قاموا.**

**فذلك قوله: ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ دعاء عليهم.**

**وقوله: ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ يقول: لَمْ يبق بطن من العرب إلا وقد ولدوه. فذلك قوله ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: يعني أن نسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم منتشر بين سائر العرب، فذلك قول: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾. وهذا صحيح، ولكن في المقابل أيضاً ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني من الناس، أيْ ليس من غير الإنسانية فيخفى عليكم، فليس من الملائكة وليس من الجن.**

**وقوله: (وقد ولدوه) يعني أن أجداده لهم نسبٌ في سائر العرب، هذا الجد من هذه الجهة وهذا الجد من هذه الجهة، أيْ بالخؤولة والعمومة.**

**وقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾، ﴿مَا﴾ فِي موضع رفع معناهُ: عزيز عَلَيْهِ عنتكم. ولو كَانَ نصبًا: (عزيزًا عَلَيْهِ ما عنتم حريصًا رءوفًا رحيمًا) كَانَ صوابًا، عَلَى قوله لقد جاءكم كذلك.**

**والحريص: الشحيح أن يدخلوا النار.**

**وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.**